المحاضرة الرابعة

سبب اختيار الحبشة دون سواها :

لماذا اختار النبي عليه الصلاة والسلام الحبشة دون سواها ؟!

سؤال مهم جداً .. وكونه مهم لأن الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم فلك أن تفكر تفكيراً دقيقاً في كل ما يفعله النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو لا يفعل شيئاً إلا لحكمة بالغة ، فعلينا نحن أن نتلمس جوانب هذه الحكمة .

فلماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة ؟! لماذا لم يبعث هؤلاء إلى اليمن فهي قريبة من مكة !! لما لم يبعثهم إلى الطائف !! لما لم يبعثهم إلى المدينة !! لما لم يبعثهم إلى الشام !! انما اختار الحبشة ..

اختار الحبشة لأسباب كثيرة :

- لأن الحبشة هي الدولة الوحيدة ذات السيادة المنظمة تنظيماً سياسيا واقتصاديا وومدنيا ، القريبة من مكة (يعني أقرب دولة منظمة سياسية قوية وقريبة من مكة ، ملمح سياسي)
- لأن الحبشة دولة دينية وليست وثنية ، ولذلك أثر كبير في قبول مبدأ الدين عند ساسة تلك الدولة وعدم إنكاره . (ملمح ديني مهم للغاية ، وهي دولة تعترف بالأديان السماوية وهي على دين المسيح سواء كان الدين محرف أو غير محرف فهي تؤمن بالوحي وبالأديان السماوية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو ماقبل ذلك ، هي عندها مبدأ قبول الدين السماوي)
- لمراعاة الجانب الأمني ، إذ الحبشة في معزل أمني عن قريش لوجود الفاصل الأمني الطبيعي وهو البحر الأحمر (قريش آذت النبي وأصحابه فالنبي بحكمته وسياسته أراد أن يجعلهم في مكان آمن لا تستطيع يد قريش أن تصل إليهم ، جعلهم في منطقة معزولة لا تستطيع قريش الوصول إليهم ، فأرسلهم إلى الحبشة لوجود الحاجز الأمني مابين مكة المكرمة والحبشة ألا وهو البحر وقريش لا تقوى على ركوب البحر فضلا عن حماية الدولة هناك لهؤلاء الناس ، النبي هو أول من بعث بأصحابه إلى مناطق عازلة وبعيدة عن أذية قريش).
- لعدم ملائمة الأوساط السياسية المحيطة بمكة لتلك الهجرة ، مثلاً : فاليمن وسط سياسي غير مناسب لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام لماذا ؟! لأن اليمن يخضع آنذاك للفرس وهم على الديانة المجوسية التي لا تعترف بالأديان السماوية ويعبدون النار فهم وثنيون ولن يقبلوا بمبدأ الدين السماوي ، لذا ان بعثهم النبي إلى اليمن فهم لن يجدوا مرتعاً خصباً للبقاء هناك ولن يقبلهم الساسة في اليمن ، باذان عامل كسرى موجود في صنعاء ولا يمكن أن يقبلهم وسيردهم ويطردهم شر طردة . وهي أيضاً غير آمنة فلربما تطالهم يد قريش هناك .

وهناك مثل آخر الطائف أيضاً وثنية وهي وقريش سيفان في غمد نفس الاتجاه ونفس العبادة ونفس العصبية القبلية ولن يكون لهذا الوفد استقبال في الطائف لوجود الوثنية ، أضف إلى وجود عامل تجاري و إعلامي بين مكة المكرمة والطائف علاقات تجارية وأبعاد اجتماعية قبلية وأبعاد سياسية ، فلا يمكن أن تأتي هي واليمن وتضحي بين مصالحها التجارية والسياسية ، فإذن كان هناك علاقة تجارية بين مكة واليمن كما تعرفون رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ، فهناك علاقات تجارية بين الطائف ومكة وبين صنعاء ومكة ، فليس مقبولا في أن يضحي هؤلاء بعلاقاتهم التجارية معاً من أجل أناس يرفضون هذا المبدأ الذي جاء به أساساً .

إذن الطائف غير ملائمة وصنعاء كذلك ، إضافة الى ان النبي عليه الصلاة والسلام لو بعث هؤلاء إلى الطائف فلن يؤمن غدر قريش لو قبلوهم ، لقرب المسافة مابين الطائف ومكة المكرمة ولا يوجد حاجز أمني بينهما أو منطقة عازلة ، اضافة إلى ذلك ان النبي عليه الصلاة والسلام إنما جاء لينشر الأمن والسلام ، وليلغي العصبية القبلية وتبعاتها ، ولينشر الوئام بين القبائل وبين الناس ، لم يأتي ليفرق فإذا بعد بهؤلاء إلى الطائف مثلاً وآواهم أهل الطائف ثم جاؤا أهل مكة وطالبوا بهم ثم نشبت حرب بين مكة والطائف ليس هذا من شأن النبي عليه الصلاة والسلام وليس هذا من أهدافه ، ويقاوم أيضاً لأنه لا يريد ان يتحول عامل الاسلام إلى تنافر وتشاجر وتطاحن بين الناس ، الإسلام جاء ليلم الناس تحت مظلة عقدية واحدة ومظلة سياسية واحدة ومظلة إقتصادية واحدة ، فلم يضع هؤلاء لا في صنعاء ولا في الطائف تلافياً لحدوث محن ومشكلات بين مكة والطائف ، ولحماية أيضاً هؤلاء الذين أرادوا الهجرة .

لما لم يبعثهم إلى المدينة أيضاً ؟! أو يبعثهم إلى الشام ؟!! سؤال مهم جداً ..

المدينة : لم يبعثهم إليها لأن ثلث سكانها يهود ، واليهود كما تعلمون عدائهم للأديان ، هم قتلة أنبياء ، هم أعداء الوحي وأعداء السماء ، وكان هناك ثلاث قبائل في المدينة وهي :

- بنو النضير
- بنو قينقاع
- بنو قريضة

وكان بينهم وبين الأوس والخزرج حروب كثيرة ، كان يهود المدينة يستفتحون على الأوس والخزرج ويقولون (إن نبياً قد أضل زمانه فإذا ظهر اتبعناه ثم قتلناه وقتلناكم معه)

إذن هؤلاء اليهود وأحبار اليهود ورهبانهم يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبنائهم كما صرح القرآن الكريم ، يعرفون النبي وكتبهم تبشرهم بذلك ، وكتبهم تصف النبي عليه الصلاة والسلام الذي سيظهر لهم ، وهؤلاء اليهود وأحبارهم ورهبانهم توقعوا ان يكون ذلك الزمن هو زمن ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقولون لأهل المدينة من الأوس والخزرج ان النبي بدأ يظهر ، فحينما سمعوا بظهور النبي عليه الصلاة والسلام ارتجت وارتعدت فرائصهم فهم أعداء النبوة ، فلو بعث النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى المدينة فهل تعتبر وسط مناسب لهم والحالة كهذه ؟!، حالة استنفار اليهود ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، فما زالت المدينة وثينة ، فأيضاً وجود يهود في

المدينة المنورة كان ذلك مانعاً من يبعث النبي هؤلاء إلى المدينة المنورة في ذلك الوقت وفي ذلك التوقيت .

الشام : هي أيضاً لها علاقات تجارية كبرى مع مكة المكرمة وبعيدة ومازالت وثنية فيصعب أن يأخذهم إلى هناك ، وكل هذه المناطق يصعب أن تتنازل بسهولة عن مصالحها من أجل هذا الدين الذي لم تفهمه بعد .

سؤال آخر مهم للغاية وهو : **لماذا بعث النبي هؤلاء إلى الحبشة دون سواها ؟**
هذه الدولة المنظمة الحبشة ذات السيادة والسلطة وهي دولة دينية وأقرب دولة للنبي عليه الصلاة والسلام فهي تعتبر دولة حدود ، هذه الدولة لها عمق سياسي وكل دولة في الدنيا وجميع الدول المجاورة تعتبر عمق سياسي لها ،، مثال المملكة العربية السعودية .
ما معنى العمق السياسي ؟!
العمق السياسي : هو ان هذه الدولة تنظر إلى كل الأحداث الحاصلة سواء كانت إيجابية أو سلبية في تلك الدولة وتراقبها عن كثب لأنها تتأثر بها سلباً أو إيجاباً ، فبهذا تأخذ كل الإحتياطات لما هو حاصل في الدولة ذات العمق السياسي تأخذ كل الإحتياطات السلبية والإيجابية .
مكة المكرمة تعتبر عمق سياسي للحبشة ذات السيادة والنظام ، لهذا علم النبي ان النجاشي ملك الحبشة لن يغفل هذا الجانب ولن يغفل مايحصل في عمقه السياسي وسوف يدعوه هذا الحدث الجلل في مكة وفي عمقه السياسي إلى أن يفكر تفكيراً إيجابياً نحو هذا الحدث السياسي وعلى أثره السياسي على دولته التي هو فيها .
النبي بعثهم الى الحبشة والحدث الجلل الذي حدث في مكة يدعو النجاشي الى أن يقبل هذا الوفد في بلدة وإلى أن يدقق ويفحصه وإلى أن يهتم بهذا الوفد لأنه جاء من عمق سياسي وجاء بحدث جلل .
هذا الحدث له تأثير فيما حوله كون مكة قريبة من الحبشة وكونها عمق سياسي للحبشة ، هذا الذي جعل النبي يبعث بهؤلاء إلى الحبشة لعلمه بأن السياسة تقتضي مراعاة كل ماهو حاصل في العمق السياسي والنظر إليه في عين الإعتبار والإهتمام .
وبالفعل النجاشي واستقبال النجاشي لهذا الوفد دلالة على الفهم السياسي عند النجاشي فضلا عن الفهم الديني ..

الوفد الذي أرسله النبي إلى الحبشة في الواقع السائد عند الناس بأن هذا الوفد انما ذهب إلى هناك ليتلافى مشكلات قريش وأذيتهم وليكون في مأمن عنهم وليكون بعيد عنهم .. لهذه الغاية وحدها ،، في الواقع ليس هذا الهدف وحدة الرئيسي من هجرة هؤلاء الى الحبشة فهو جزء من الأهداف ..
الهدف الأساسي : هو تبليغ الإسلام هناك ونشر الإسلام هناك وإيجاد مجتمع مسلم هناك وإيجاد وطن سياسي تقام فيه الدولة وإيجاد مكان ومنطقة حرة ومعزولة يتنامى فيه الإسلام .

حجم الوفد سياسياً واجتماعياً :

الوفد الذي هاجر إلى الحبشة رجال ذو عصبيات لهم من عصبيتهم – في بيئة قبلية – مايعصمهم من الأذى ويحميهم من الفتن وهم من سادات قريش وكبارها .

نلاحظ ان المستضعفين في قريش أمثال بلال وحبيب وغيرها لم يهاجروا مع هذا الوفد ، إنما هاجر رجال من علية القوم نسباً ووجاهة ومالاً . كعثمان وعوف وابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه سيدنا جعفر بن عبدالمطلب .

لو نظرنا إلى حجم هذا الوفد الذي ذهب إلى الحبشة لوجدناه حقيقة من علية القوم ولوجدناه حقيقة من أشرف وجهاء قريش وأعزها وجاهة ومالاً وفصاحة وبلاغة .

وفد كبير جداً في إمكانياته المجتمعية وفي إمكانياته الفكرية وفي امكانياته المالية ، ليس مجرد وفد مستضعفين وعبيد وكذا ،، ذهبوا إلى الحبشة ..

لم يذهب واحد من المستضعفين إلى الحبشة ..

أوذي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه جميعهم ولكن بتفاوت ، لم يأتي أحد ليضرب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أو يضرب عثمان بن عفان أو جعفر بن أبي طالب أو يضرب أبو بكر .. الأذية إجتماعية أذية نفسية .. مضايقات ، إنما الذين تعرضوا للعذاب الحقيقي كخبيب والخطاب وغيرهم .. هؤلاء لم يهاجروا إلى الحبشة من ضمن هذا الوفد ..

كل له في قريش عصبية هذه العصبية ممكن أن تحمية أي عنده عزوة كي تحميه ..

عثمان بن عفان من الذي يجرؤ عليه أو على سيدنا جعفر أو الزبير بن العوام أو عبدالرحمن بن عوف أو ابن مضعون أو السيدة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم أو أم حبيبة بنت أبي سفيان .. كل هؤلاء من ضمن الوفد الذي ذهب إلى الحبشة .

الواقع هؤلاء من سادات قريش ومن كبار بيوتات قريش وإن كانوا قد تعرضوا للأذى ولكن لا يصل إلى درجة ما تعرض له سيدنا بلال رضي الله عنه .

النبي صلى الله عليه وسلم أوذي ، الذي أوحى إليه أوذي أذية كبيرة ..

مثال : كان عليه الصلاة والسلام يصلي في الحرم وأمامه حوالي ثمان من كبار معاندي الدعوة أبو جهل ، وابن أبي معيد ، وأمية ابن خلف ، وابن ربيعة ، ومجموعة من عتاولة الكفر في مكة المكرمة ..

النبي وهو يصلي بدأو يستهزئوا به ويضحكون فقال أبو جهل : أيكم يأتي إلى تلك الجزور ؟ (ناقة ميته منذ ثلاثة أيام ومنثورة ومتعفنة) أيكم يأخذ هذه الأمعاء ويظعها على ظهر محمد إذا سجد .. فقال

إبن معيد وقد تولى كبر هذه الجريمة : أنا .. وذهب إبن أبي معيد وأخذ الأمعاء وعندما سجد النبي صلى الله عليه وسلم ألقى بها على ظهره .. لم يتحرك النبي بل بقي ساجداً لربه لأنه كان مشغول .. فبدأوا يضحكون ويتمايلون ويتمايل كل كتف واحد على الآخر ويصفقون ويهزأوا ويضحكوا .. هذه أذية مادية ، ولكن جاءته السيدة فاطمة وبكت وقال ان الله ناصر أبيك ..

فدعى عليهم لأنه خرج غضبان من الحرم الشريف .. فكلهم قتلوا في بدر ..

عندما خرج وجده أبو البختري ابن هشام كان سيصيد متحزم بالحبال .. ووجده غاضبا
وهذا ابو البختري سلطه الله على ابو جهل وهو يخاف منه ويمرغ أنفه في التراب ولا يستطيع أن يقول له شيء .. فقال له : من آذاك يامحمد ؟ النبي لم يرد عليه .. وأعادها مرة أخرى عليه فقال له : كذا كذا كذا ...
فطلب من النبي أن يعود معه إليه ، النبي تردد ، وأخيراً رجع معه ..
فقال ابو البختري : من آذى النبي ؟ كان يدافع عنه ولم يهاجمه .. ودافع عنه في فك الحصار عنه وكان لهذا أثر كبير جداً ..
فعرف ان ابو جهل هو الذي آذى النبي .. فأخذ الحبل الملفوف عليه ومرغ أنفه في التراب .. والنبي يرى ويشاهد ويسمع هذا النصر العاجل ..

الشاهد ان النبي أوذي والصحابة أوذوا ولكن ليس مثل بلال وغيره

النبي في غزوة بدر ومن أجل أن يعلن مبدأ الوفاء ومبدأ مكافئة القيم .. فقال قبل أن يدخل الى المعركة للصحابة من وجد هاذا ابا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن وجد العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله ، لماذا ؟

لأن أبا البختري بن هشام صنع له معروفاً في مكة ، وعمه العباس لأنه قد صنع له معروفا في مكة وفي الشعر وفي بيعة العقبة الأولى والثانية ..

هذا الوفد على كبره وعظمته
عثمان صهر رسول الله وهو من كبار بيوتات قريش وهو من أثرياء قريش يعني شخصية كبيرة مرموقة في قريش .

سيدنا عبدالرحمن بن عوف من كبار تجار قريش ..

الزبير بن العوام هو أيضا ابن خالة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ..

سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من بيت النبوة

هذا الوفد رفيع المستوى دينيا واجتماعيا ومالياً يغرينا بأن نقول هذا الوفد له مهمة غير مهمة اللجوء أو الهروب لهم مهمة كبرى ومهمة للغاية وهذه المهمة هي مهمة الدعوة ..

الشيء الثاني مهمة سياسية .. هذا وفد سيقابل الملك ، ولا يرسل إلى الملك إلا من هو في مستوى هذا الحدث ، سواء بلاغة أو وجاهة أو فكراً أو غير ذلك ..

ولابد من هذا الوفد أن يحسن مراعاة المقام ومقتضيات الأحوال ، وفد سينفذ أمام ملك وسيتحدث بإسم من ؟ بإسم نبي بإسم دين بإسم وحي .. لابد أن يكونوا بمستوى هذه المسؤولية ..

ولم يذهب من أولئك المستضعفين أحد لأن القضية تستدعي فكر معين ، تستدعي أفق معين ، تستدعي بلاغة معينة ..

لو نظرنا إلى ذلك الوفد ، هناك ملمح عظيم جداً ألا وهو أن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم مهمة محفوفة بالمخاطر ألا وهي ....

الا انه أخذ مع الوفد أناس من أقربائه ، سدنا جعفر ابن عمه ، ابنته رقية ، عثمان صهره ، الزبير ابن خالته ، هذه المهمة محفوفة بالمخاطر ولذلك لم يقل النبي أستبقي أقربائي وأبعث من عامة الناس ..

١٠% من هذا الوفد هم أقرباء النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ..

لكي نعرف التضحية الكبرى للإسلام ، فالنبي لم يجعل هذه المهمة المحفوفة بالمخاطر على الآخرين بل أشرك معهم أقربائه ..

تمنياتي لكم بالتفوق والنجاح

أختكم / غزلان الحربي